

# كل المهام والمراحل

والعارف بتفاصيل المخيمات والجامعات والاتحادات والنقابات واللجان الشعبية والروابط. لذلك لم يكن مفاجئاً أن يكون هو المرجعية لأي قرار لإغاثة أو تنمية أي مخيم، أو لإنشاء أي مشروع أو لتشكيل اللوائح الانتخابية والتحالف مع هذا الفصيل أو ذاك.

أبو عمار كان همزة الوصل في العلاقة مع الفصائل الفلسطينية والأحزاب العربية والقوى الإسلامية والعائلات التقليدية والحكام والرؤساء الحاليين والسابقين والقوى والهيئات المدنية والدينية.

أبو عمار كان يشرف على ويحضر احتفالات تخريج العسكريين والمتطوعين والطلاب والأشبال والزهرات والكشافة، ويرعى مسابقات كرة القدم وكرة السلة والجري السريع.

أبو عمار كان يساهم في إنشاء المدارس والجامعات والمعاهد، ويحدد حصص الفصائل من المنح الطلابية والعسكرية ويتابع شؤون المدارس والطلاب.

أبو عمار الخطيب، المحلل، المنظر، الناطق الرسمي، الرئيس، المقاتل، الفدائي، الختبار، المهندس، العسكري، المناور، المفاوض، الدبلوماسي.

أبو عمار أحب كل المهنة في العالم، وعشق كل الأدوار، واحتكر كل الوظائف، وشغل كل المناصب، واحتل كل المواقع.

أبو عمار لا يحب المعارضة ولا يقبل النقد والمساءلة، لا يحب أن يحاسب أحداً، ويرفض أن يحاسبه أحد. يعشق الأوامر ويهوى المحاور، شرط أن لا تكون وجهة نظرك معارضة له.. يعشقتك لو كان موقفك موافقاً لموقفه وتحليلك ينسجم مع تحليله.

يقدرك لو كنت بارعاً في المناورة، ويكرهك لو كنت جامداً وبطيء الحركة. بغضب منك إذا كنت تتعاطى من موقع الموظف، ويهتز منك إذا لم تكن لك روابط إقليمية ودولية، ولم تكن لك خطوط مع جهات نافذة عالمياً.

أبو عمار يعشق الأضواء ويحب الاختفاء.. إذا استدعت المهمة السرية، غاب ياسر عرفات عن السمع، وعشق الظلام، وامتنع التخفي، واستخدم التكتّم ومارس التضييل والمناورة.

وإذا استدعت المهمة المكشوفة، جلس في الضوء وأدار محرك اتصالاته وعلاقاته، وخطب ونظر..

الشعر حاضر أمامه، وآيات القرآن الكريم سهلة المنال عنده، والشعارات حاضرة في ذهنه، والطرفة أداته حين تعجز العبارات، والأحاديث النبوية يرددها أو يركبها.

يبتسم كثيراً، يضحك عالياً، يقهقه أحياناً.. لكن تسبقه الدمعة باستمرار. ويبيكي عند الحاجة، وما أكثر حاجات البكاء عند ياسر عرفات.

يقابل الكبار ويحتضن الصغار، يقبل الفتيات والنساء، خصوصاً أبناء وزوجات وأمهات الشهداء.

يعتمر في مكة المكرمة ويصلي مع الإمام الخميني في طهران، يضع إكليلاً من الزهر على ضريح لينين في موسكو، ويقبل يد البابا في الفاتيكان.

«لكن مقام مقال» قاعدة استراتيجية عند ياسر عرفات. يصيغ خطابه وتعبيراته حسب الظروف والمكان والزمان.

خطابه في قاعة جمال عبد الناصر في بيروت، يختلف عن خطابه أمام القمة العربية. حديثه إلى صحيفة «عكاظ» السعودية غير حديثه إلى «نيويورك تايمز». حوار مع وفد من الاحزاب العربية غير حوار مع وفد من الاشتراكية الدولية، نصه السياسي في جنوب لبنان يختلف عن نصه السياسي في اجتماعات اللجنة التنفيذية أو المجلس الوطني.

فدائي في بيروت، إسلامي في طهران، تقدمي في روما، اشتراكي في فيينا، بعثي في العراق، سلفي في الرياض، مجاهد في دمشق، تسووي في القاهرة، ليبرالي في باريس، مفاوض في بروكسيل، ثائر في بنوم بنه، مستضعف في نيودلهي، مقدس في دكا، ناصر في طرابلس الغرب،

مفاوض في جنيف، رجل سلام في نيويورك.

أبو عمار رجل اللعبة ببراعة.. ذكي، ماهر، شاطر، صبور، ناسك، يجيد القفز والتنقل، سريع الحركة، لا يحب الثبات، يكره الجمود، يحب جمع الأوراق.

في علم السياسة.. أبو عمار سياسي لامع

في علم التحالفات.. أبو عمار متحالف ماهر

في علم التحولات.. أبو عمار متحول هائل

لأبو عمار فراسة هائلة في كشف الخصوم وسبر غور الألاعيب. خبير في اكتشاف الدهاليز، ضليع في علم المؤامرات، أستاذ في معرفة الخبايا، حكيم في كيمياء النفوس.

لديه حاسة شم هائلة تكشف الأنفاق وتفضح الأشرار، وتبطل الخدع.

قرون الاستشعار عنده متطورة للغاية، يقرأ القادم ويعرف النهايات قبل وقوع الأحداث. لكنه لا يحب التبصير ولا التنجيم ويكره ضرب المندل.

يؤمن بالاستراتيجيات ويعشق التفاصيل.. أحياناً يسعفه التحليل، فينجح في القراءة ويحسن تلمس الخارطة فيفلح في النجاة.

وأحياناً تخونه الرؤية ويعميهِ الدخان، وتخطئه المعطيات، فتقذفه السفينة بعيداً، ويخسر الأوراق ويضطر للمناورة، حتى يعود ويجد أرضية ثابتة يقف عليها ليواصل معركته.

من القدس إلى القاهرة، من القاهرة إلى الكويت، من الكويت إلى عمان، من عمان إلى بيروت، من بيروت إلى أثينا والقاهرة، من تونس إلى طرابلس، من طرابلس إلى باريس، من باريس إلى عمان، من عمان إلى الجزائر، من الجزائر إلى أوسلو، من أوسلو إلى واشنطن، من واشنطن إلى غزة، من غزة إلى رام الله، من رام الله إلى باريس، من باريس إلى القاهرة، من القاهرة إلى رام الله.

أبو عمار تنقل في عواصم كثيرة، وقابل شخصيات كثيرة، فحدث كثيراً وخطب كثيراً. أبو عمار شغل العديد من المواقع والمناصب، خدمته شخصيته وخدمته التطورات والتحالفات والتوازنات وخدمته اللعبة.

أبو عمار كانت له وجهة نظر.. قرأ اللعبة وحدد عناصرها، ودخل فيها، وصار يتحرك معها وينسق حركته على لحنها ويتحول مع تحولاتها.

وهنا كان خطأ أبو عمار الأبرز، قضية فلسطين قضية مبدئية حضارية تاريخية ثقافية دينية سياسية إنسانية.. لذلك فهي لها قوانينها الخاصة، ومنطلقاتها الخاصة ومرتكزاتها المحددة وآليات عملها المميزة.

لذلك كان من الخطأ إدخال القضية الفلسطينية في اللعبة وإبعادها عن منطلقاتها الروحية المتعارضة مع المادة.

أبو عمار إنسان فذ وماهر.. يعمل بجهد ونشاط قل نظيره عند معظم الزعماء في العالم. لكن عام ١٩٩٣ حين وقّع على اتفاق أوسلو خانت اللعبة وعادته المعادلة وخاصمته المعطيات. فاضطر للإمسك بها حتى عام ٢٠٠٠ في قمة كامب ديفيد، حينها تبين له أن اللعبة وحش مفترس وغول ضخم وديناصور هائل وحيوان شرس. آثر عرفات الثبات قليلاً فصار بين دفتين: لا هو يستطيع التراجع فيخسر كل ما عمل له، ولا هو يستطيع التقدم فيخسر كل ما بقي لنا. فكان أن حاصرته اللعبة في رام الله لتأكله شيئاً فشيئاً.. تأكل موقفه ونضاله وما قدمه. ولتأكل حقوقنا ونضالنا وأرضنا ووطننا وقادتنا ومجاهدنا وأبناء شعبنا.

أبو عمار عمل طوال خمسين عاماً ومات.. عزاؤنا في رحيل الأخ أبو عمار أن الشعب الفلسطيني متمسك بالمقاومة ويرفض كذلك التنازل عن القدس وحق العودة.

إن القلب ليحزن.. وإن العين تندمع.. وأنا على فراقك يا أبو عمار لمحزونون. ■